

المجتمع الإنساني



كُرِّمَ الإنسان كإنسان عند الله وأُعطي له مكانة عظيمة أهَّلتَه لخلافة الله في الأرض، وأمَّا ما تشرَّب بروح الإيمان فمكانته أسمى وأرقى من سائر الادميين، يقول الله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَا لَهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيْرِ يَبَاتٍ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء / 70).

كرَّم الله الإنسان وفضَّله على كثير من خلقه، واستخلفه في الأرض ليُعمِّرَها بالسعي فيها لتلبية حاجاته البدنية والروحية، وإقامة مجتمع إنساني تَسودُهُ القيمُ المُثلى من الحق والخير والعدل، ولتحقيق معاني العبودية لله والإيمان به وحده، وإفراده بالطاعة والعبادة دون أحد من خلقه على منهج أنبيائه ورسله.

ثمَّ تبيَّن الغاية من خلقه بالسعي لتعمير الأرض ولتلبية حاجاته الروحية والبدنية، كما قال جلَّ شأنه: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود / 61)، وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات / 56)، وقال سبحانه وتعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا وَإِلَيْهَا النُّشُورُ) (الملك / 15)، وقال عزَّ من قائل: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك / 2).

وكذلك لإقامة مجتمع إنساني؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات / 13)، وتسود هذا المجتمع القيم المُثلى من الحق والخير والعدل، ففي قيمة الحق، يقول الله عزَّ وجلَّ: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَادْحِكْ بِإِذْنِ اللَّهِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (ص/ 26)، ويقول سبحانه وتعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (الأنعام/ 151)، ويقول جلّ ذكره: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِبَغْيٍ الْحَقُّ أُوتِيَكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى/ 42)، ويقول النبيّ (صلى الله عليه وسلم): «قُلِ الْحَقُّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا» ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): «ما من صدقةٍ أحبَّ إلى الله من قول الحق».

وفي قيمة الخير يقول عزّ وجلّ: (ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبِدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج/ 77)، وقال جلّ ذكره: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) (آل عمران/ 104)، وقال سبحانه وتعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) (الأنبياء/ 73).

وفي قيمة العدل، الذي يعتبر من أسمى الأهداف الإسلامية وغاية حركة الأنبياء والرسل. يقول الله جلّ ذكره: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) (النساء/ 58)، وقال عزّ وجلّ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل/ 90)، وقال تعالى: (كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة/ 8). وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلاً وصيام نهارها، وجور ساعة في حكم أشدّ وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة».

عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: (يُخْذِي الْأَرْضَ بِعَدَمِ مَوْتِهَا) (الروم/ 19)، قال: «ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله رجلاً فيحيون العدل فتحيا الأرض لإحياء العدل، وإقامة الحدّ في الأرض من القطر أربعين صباحاً».

وأيضاً فإنّ الغاية من خلق الإنسان تحقيقُ معاني العبودية لله والإيمان به وحده، وإفراجه بالطاعة والعبادة دون أحد من خلقه على منهج أنبيائه ورسله؛ كما يقول الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة/ 31)، وقال جلّ شأنه: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة/ 5)، وقال عزّ وجلّ: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْزَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْزَلَ فَأَعْبُدُونِ) (الأنبياء/ 25).